

الغزل في الشعر العربي النيجيري بين التجديد والمحاكاة

د. موسى عبد السلام مصطفى أبيكن
المحاضر بقسم الدراسات العربية والإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ولاية كوغني،
ولاية كوغني، أينبا، نيجيريا

Abstract:

Erotic Poem as a theme in the history of Nigeria Arabic Verse remains uncommon. Until 20th century when we begin to have this kind of poem among few Nigeria scholars particularly in the works of Muhammod Bukhari ibn Fodio. The beginning of 20th century، a number of Arabic poets emerged. Their productions focus on erotic poems in love for the theme. A times، they imitate while sometimes innovate. Many of them to the best of our knowledge revived the theme through their exposure at Arabic Education outside the country including those who received theirs inside the country. The aim of the research is to study generally what had been said on erotic poem. the finding reveals that poets of 21st century took the theme as a topic on its own which was not common in the nineteen and twenty centuries.

التمهيد:

"الأدب فن رفيع من فنون التعبير، يروم إمتاع النفس، وإثارة المشاعر النبيلة فيها، وصرفها عن الهموم والمشاكل التي تلف الإنسان، وتستأثر بأوفي نصيب من تفكيره، وتدييره. وقوام الأدب الرفيع اللفظ المهذب، والعبارة الجميلة، والمعنى النافذ، والخيال الخصب، سواء أكان هذا الأدب شعرا أو نثرا، مقالة أو قصة تنبعث من أعماق الباطن، أو خطابا ينطلق من تجارب الحياة، ويحسن الاستفادة منها"⁽¹⁾ "الأدب نتاج البيئة التي ينشأ فيها الأديب ويتعرع، فإذا ما أدرك الأديب درجة عالية من الإبداع والأصالة بحيث يسمو حسه الإنساني، فإنه يجاوز الحدود القومية متى واثته الظروف فيكتسب إشعاعا عالميا من غير أن يفقد خصوصياته الذاتية، وطابعه الأصيل"⁽²⁾ "ويرتبط الأدب بالمجتمع ارتباطا قويا، فهو في حقيقته تعبير عن المجتمع، وكل ما يجري فيه من نظم، وعقائد، ومبادئ، وأوضاع، ومواقف، وأفكار"⁽³⁾.

"وقد أنتجت القرائح البشرية آثارا أدبية لا يحصيها العد، منها أعمال اكتسبت بعدا عالميا، وتسارع الناقلون إلى ترجمتها، والناقدون إلى دراستها، وإظهار محاسنها، وعيوبها 4 ولما كان الأديب فردا من أفراد المجتمع، فهو يصدر أدبه عن كل ما يرى، ويسمع، ويحس فيه، صانعا مادته الأدبية من مرئياته، ومسموعاته، وإحساساته"⁽⁵⁾.

وأدب كل أمة ترجمان عواطفها وميولها، وصورة إحساسها وانفعالاتها، والإطار الذي تنعكس عليه مشاعرهما، وترسم فيه خوالجها ومذاهبها، وهو معيار دقيق لكل ما يتردد فيها من آراء تصل إليه من رقي، وحضارة، إذا لانت القلوب، واحتشدت بالجنان والرحمة، وإذا تدفقت العواطف نابضة بالإخاء والحب، ظهر ذلك في الأدب الذي ثمار الألسنة، وإذا قست الأفئدة، وجفت الطباع، وغلبت البداوة، نضح كل ذلك على صفحة الأدب"⁽⁶⁾.

نظرة خاطفة إلى الأدب العربي ووظيفته في المجتمع:

"عني العرب بالأدب عناية فائقة منذ أوليتهم، فقد عرفوا بحسن صناعة الكلام، وسمو البيان، وتجويدهما قبل الإسلام وبعده، ويكفي دليلاً على عناية العرب بالأدب، وعلو منزلتهم فيه ومقدرتهم على فهمه، واحترامهم له. وقد استوعب العرب القرآن الكريم، لغة، وبلاغة، وفكراً، وقد وصفهم الله في كتابه العزيز كما وصفهم الرسول الكريم بأنهم أهل فصاحة ولسان، وقد قيل فيهم قبل الإسلام بأنهم أمة شاعرة لكثرة من يقول منهم الشعر أو يرويه".⁽⁷⁾

"ولعل الأصح أنهم أمة شاعرة ناثرة ' فكما كان الشعر متميزاً فيهم، كانت الخطابة تسمو على الشعر عند سادتهم أحياناً. لقد عرف العرب في خلال العصور معظم الفنون الأدبية، فكان لهم أجود الشعر، وأبلغ النثر، ويكفي أن سمو بعض قصائدهم بالمعلقات، ومن رائع نثرهم، الخطب، والأمثال، والحكم، والوصايا. وقد بلغ شعرهم في هذه المرحلة درجة من السمو، جعلته منهجاً فيا لشعراء العصور الأخرى"⁽⁸⁾

الأدب والمجتمع:

إن الفن⁽⁹⁾ الذي يعيش في ظل مجتمع معين، ينبغي أن يتجه إلى خدمة ذلك المجتمع، والسعي به إلى مستقبل أفضل. وإن هذا المبدأ، يصدق على الأدب، لأن الأدب، أبرز الفنون جميعاً، ولا يكون الأدب مؤثراً وفعالاً إذا لم يجد جمهوره الذي يعشقه شيئاً من حاجته.

وفي كل الأحوال، لا يمكن عزل الأدب أو الأديب عن البيئة أو المجتمع. وقد قيل "الأديب ابن بيئته" فالشاعر العربي قبل الإسلام يكون صادقاً مع نفسه حين ينظم قصيدته باتجاه نصرته قبيلته أمام تحدي الأعداء، ويكون صادقاً مع نفسه أيضاً حين يتجاوز قبيلته إلى أمته جمعاء، فتصدى إلى أعدائها الفرس عندما يكيدون لها، ويقصدون إذلالها كما فعل الأعشى في حرب ذي قار.

وكان الشعر أمينا على تصوير المجتمع الذي يعيش فيه، والنثر الإنشائي كذلك. فالأدب إذا ابن المجتمع الذي يعيش فيه، وإن أدبا معزولا عن مجتمعه، لن يكتب له النجاح، ويتقاسم الأدباء حظوظهم في القرب أو البعد عن حاجة مجتمعاتهم. وهناك فرق بين من يقدم ملحمة يضحك منها، ويستروح لها، وبين من يقدم له خيرا واصلا، وطريقا للنضال من أجل الأمة.

جولة قصيرة عن الأدب العربي النيجيري

"انتشرت اللغة العربية في غرب أفريقيا مع انتشار الإسلام فيها، وتأسست الممالك والدول التي اشترك فيها العرب والعجم في غانا، ومالي، وسنغي وبرنو. واعتنى الملوك والأمراء بشأن التعليم واستعانوا بالعلماء في تفهم أمور الدين، وتطبيق الشريعة، فاضطر العلماء إلى التعمق في قواعد اللغة وآدابها، وفي أصول الشريعة وفروعها، فقصدوا بلاد العرب المجاورة لهم للاستفادة واستقدموا إلى بلادهم العلماء العرب لنشر العلوم بينهم حتى نبغ الكثيرون، فألفوا الكتب، وقالوا الأشعار في الأغراض التي تناسب بيئتهم"⁽¹⁰⁾

"للغة العربية أهمية كبيرة في غرب أفريقيا، ولها تاريخ قديم في المنطقة، عبرت الثقافة العربية الصحراء الكبرى من شمال أفريقيا إلى غربها بسبب العلاقات التجارية بين عرب شمال أفريقيا وسكان غربها. وكانت هذه التجارة نقطة انطلاق اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ومن هنا، بدأ تجار المنطقتين تستخدم اللغة العربية في البيع والشراء، وبمرور الزمان، اندمجت بعض الكلمات العربية في اللغة المحلية لكثرة استعمالها وخاصة بعد انتشار الإسلام"⁽¹¹⁾ وقد لعب الإسلام دورا هاما في انتشار هذه اللغة وآدابها.

"وكفى الإسلام فخرا أن المسلمين هم أول من عرف القراءة والكتابة في غرب أفريقيا. وقد توسعت الثقافة العربية بعد أن أصبحت مملكة غانا دولة إسلامية، وبعد سقوط غانا واختفائها، بدأت مملكة مالي تلعب جميع الأدوار التي تلعبها مملكة غانا الإسلامية سابقا. وكان لمدينة تمبكتو، ومسجد سنكوري فضل

عظيم في بث الثقافة العربية الإسلامية. وفي مسجد سنكوري، تخرج عدد لا يستهان به من العلماء المحليين لأنه بمثابة جامعة الأزهر بمصر".⁽¹²⁾

الشعر العربي النيجيري :

"بعد الشعر في نظر العلماء ظاهرة حضارية عريقة منذ القدم، اهتدى إليها الإنسان إليه بإحساسه العميق المرهف، لأن الشعر صفة مميزة للبشر عن بقية المخلوقات تشير إلى رقي في التكوين، وسمو في التفكير. فهو إحساس ذكي بالواقع يرتبط بباقي الفنون الجميلة، وبوجه خاص، بفن الموسيقى والغناء وما يتصل بهما، هذا، من ناحية، وكما يتصل بعبقرية اللغة وتطورها من ناحية ثانية".⁽¹³⁾

وليس الشعر وزنا وقافية فحسب كما يحيل للدارس أول وهلة، وإن كان الوزن والقافية عنصرين أساسيين في تأليفه وتكوينه، وإنما الشعر مزيج بمواد أخرى، وخامات عديدة في بنائه حتى يخرج في الصيغة المقبولة إلى درجة أن القدماء بالغوا في أسرار صنعته حتى جعلوه وحيا أو إلهاما يتلقاه الشاعر من عالم الغيب عن طريق جنّي أو شيطان. وهذا المعتقد، يستوي فيه العرب وغيرهم من أمم الأرض، كأنهم اتفقوا جميعا على التسليم به⁽¹⁴⁾ "إن العلماء في نيجيريا هم الذين قاموا بدور الشعراء، لأنهم هم وحدهم الذين استطاعوا أن يجيدوا اللغة العربية، ويتذوقوا سحرها وبلاغتها، ويتخذوها أداة للتعبير عن مشاعرهم، وينظموا الشعر كما نظمه شعراء العرب وأدباؤها".⁽¹⁵⁾

"وليس من السهل أن نفرق في نيجيريا بين العلماء السنيين، والأدباء المفوهين، فالعلماء هم الأدباء، وهم قادة الفكر، وهم الذين يقومون بتدريس الدين واللغة والأدب، وإلقاء المحاضرات أمام الخواص والعوام. وليس هناك فرق عندهم بين التعليم العربي والإسلامي. إذ الفنون كلها تهدف إلى غاية واحدة وهي الإسلام، فهدفهم الرئيس في التعليم كله هو أن يتفقهوا في الدين، لأنهم

كانوا يريدون أن يحيوا حياة دينية، فتعليم اللغة العربية ليس هي الغاية في ذاته، وإنما هو وسيلة لفهم الإسلام. لذلك، عكف العلماء على تعليم اللغة العربية، وتعلموها لغة وأدبا، وألفوا بها كتباً كثيرة في شتى الفنون".⁽¹⁶⁾

وبالرغم من أن هؤلاء العلماء قد استخدموا معظم مجور الشعر العربي، إلا أن الأبواب التي خاضوا في غمارها لا تتجاوز الأغراض الآتية غالباً، الشناء على الله، والمديح، والوصف، والرثاء، والوعظ والإرشاد، والحكم والأمثال والمناظرة، والشعر الصوفي، وشعر الدعوات والتوسلات، والشعر التعليمي، والغزل.

الإنتاج الأدبي في القرن التاسع عشر الميلادي:

يعتبر النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي بمثابة العصر الذهبي للإنتاج الأدبي في نيجيريا⁽¹⁷⁾ وأبرز الشخصيات الذين يشار إليهم بالبنان في هذا الوادي، الشيخ عثمان بن فوديو - المجاهد الإسلامي الأكبر بغرب أفريقيا - وهو نفسه كتب أكثر من سبعين كتاباً⁽¹⁸⁾ في مختلف العلوم العربية الإسلامية، والشيخ عبد الله بن فوديو، شقيق عثمان - الملقب بنادرة الزمان، وعلامة السودان - فقد خلف وراءه ما ينيف على مائتي كتاب دار على الفنون العربية والإسلامية،⁽¹⁹⁾ يليهما في الإنتاج السلطان محمد بلو، نجل الشيخ عثمان، الذي يعود إليه الفضل في البطولة، والكفاح، والإنتاج. وقد سجل زهاء مائة كتاب⁽²⁰⁾ باللغات المختلفة، وإن كانت اللغة العربية عديدة وسائدة من مؤلفاته.

"... والسبب في الإنتاج يرجع إلى أن اللغة العربية، هي اللغة الرسمية في البلاد آنذاك، وهي اللغة الثقافية الوحيدة التي كان العلماء جميعاً يستطيعون التفاهم بها على الرغم من اختلاف لغاتهم ولهجاتهم"⁽²¹⁾ وقد كانت اللغة الوحيدة التي دون بها جميع تقارير الامبراطورية في القرن التاسع عشر كما أن جميع الأحكام الشرعية حتى بعد سطو الاستعمار البريطاني، كانت تسجل بها في كثير من الإمارات الإسلامية.

"ولم تقتصر جهودهم على شرح المشكلات والغوامض حسب تصريح الشيخ عثمان المتواضع فحسب، ولكنهم أضافوا إلى الثقافة العربية ثروة قيمة في شتى الميادين. فإذا نظرنا إلى ما ساهموا به في ميدان الشريعة، وعلوم الدين نجد أنهم لم يقتصروا على توضيح المسائل المشككة فحسب، ولكنهم، ابتكروا أيضا طريقة تسهل على طلاب العلم حفظ هذه المسائل وذلك، بتحويل قلبها المنشور إلى المنظوم"⁽²²⁾ "ولما كان الباعث لأهل نيجيريا إلى تعلم العربية هو الدين الإسلامي، كان لابد من أن ينبع أدهم من منابع الدين وأن يدور حول أغراض يبررها الدين لذلك، اتجه الشعر في هذا العهد إلى هذه الأغراض"⁽²³⁾.

وليس هنالك من بين علماء نيجيريا، من ترك تراثا ضخما في الأدب في القرن التاسع عشر الميلادي مثل عبد الله بن فوديو الفلاني⁽²⁴⁾ والبلاد تفخر بمؤلفات هذا العبقرى، لا لكثرتها، وقيمتها فحسب، ولكن، لشمولها، معظم العلوم، من تفسير، وفقه، وتصوف، وتاريخ، وحديث، ولغة، ونحو، وصرف، ومنطق، وعلم الكلام، وعروض، وأدب.⁽²⁵⁾ ولم يكن في غرب أفريقيا أعلم منه في ذلك الزمن⁽²⁶⁾ ومن الطرافة أن من الذين أجادوا في هذا الميدان من النساء، أسماء بنت عثمان بن فوديو التي برعت في الشعر العربي، وبلغت منزلة لم تبلغ مثيلاتها في الشعر العربي النيجيري إلى اليوم، وهي بمنزلة خنساء نيجيريا.⁽²⁷⁾

الغزل في الشعر العربي:

"أكثر أشعار العرب، وأروع قصائدهم، وأبرع آثارهم يتصل بالمرأة، ويصف حسننها، ويشيد بجمالها، ويعلن الفرح بقربها، والألم والحزن على بعدها، ويذكر تأثيرها على النفس، وما تجود به من وصل، أو توزعه على صراعاها من دلال، وصد، ومن ازدراء وهجران"⁽²⁸⁾ "كانت المرأة العربية ذات تأثير ساحر على عقل الرجل وقلبه، وعواطفه، يقتحم الصعاب، ويخوض الغمرات، ويركب الأهوال من أجلها، لذلك، كان الشعراء لا يفتأون يرددون ذكرها في كل مناسبة،

يفتتحون بها أشعارهم، ويقفون على أطلالها باكين، ويلمون بمنازلها متوقفين".⁽²⁹⁾
 "ولقد كان من شعرائهم من يتحدث عن المرأة، بل الحديث الذي
 تملكه الشهوة، وتستبد به الصبوة، فيصور محاسن جسمها من أرداف، وأعجاز،
 ووجه، وبطن، وعيون تشبه عيون المها، ويعمد إلى كل ما يثير العاطفة والمشاعر،
 فيلح عليه إلحاحا شديدا مثل المهلهل الذي لقب بأنه زير النساء. والأدباء دائما
 يطلقون الغزل والنسيب والتشبيب على الأشعار التي تحمل حب المرأة والحديث
 عن جمالها وماتيزه في القلوب من هيام، وصبوة، والتي تنطق بكل ما يتعلق بها من
 حب، ووصل، وصد، وهجران. والنسيب والغزل والتشبيب كلها يهدف إلى معنى
 واحد، وبعضهم يفرق بين معاني هذه الألفاظ، فقدمة يقول: النسيب ذكر خلق
 النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن، والفرق بينهما أن الغزل هو
 المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله، فكأن
 النسيب ذكر الغزل، والغزل هو التصابي والاشتهار بمودات النساء".⁽³⁰⁾

ويراد بالتشبيب ما يقصد إليه الشاعر من ذكر المرأة في مطالع الكلام،
 وما يضاف إلى ذلك من ذكر الرسوم، ومساءلة الأطلال، وهذه الألفاظ أصبحت
 كلها تحمل معنى واحدا وهو الحديث عن المرأة وما يتصل بها. انطباقا على ذلك،
 يقول الدكتور عيسى ألبوكر⁽³¹⁾ في وصف الهوى والحب في النساء:

الحب	نارخبوها	صعب	يحبسها	كل	لحظة	قلب
عرفته	والحياة	ناعمة	يسير	والعود	لين	رطب
حاولته	نسيانه	فأرقني	خياله	ترك	مثله	كذب
من عرف	الحب كيف	يعتيني؟	والله	من شيمته	الورى	العتب
من ذاق	نار الغرام	يعذرني	لوم	معنى	مدله	ذنب
وسورة	الحب	لايهدأها	إلا	كلام	محبب	عذب
الحب	داء	يديمه	النظر	كذا	الحديث	الجميل

والقرب⁽³²⁾

"فالغزل بعبارة أخرى هو التعبير عن التجربة النفسية القائمة على التفاعل الجنسي بين الذكر والأنثى، وقد يكون الغزل أسبق الفنون الشعرية إلى نفس الشاعر لأنه يصدر عن الغرائز الجنسية التي ألصق بالحياة، وهو من أقدم الشعر العربي".⁽³³⁾ والغزل الجاهلي كان قاصراً على المرأة، ووصف جمالها، وتتجلى في النسب الجاهلي، البساطة، والبعد عن التكلف والتشبيه بالمحسوس المرئي لديهم، وعلى الرغم من إكثارهم فيه، وشهرتهم به، لم يقولوه مستقلاً، إنما مزجوه بكل غرض، وألما به في كل موطن، فما من قصيدة قيلت في مدح، أو هجاء، أو فخر، أو وصف، إلا كان النسب جزءاً منها 34 "ويمكن أن يقال بوجه عام، إن الغزل الجاهلي، مادي يتصل بمحاسن المرأة الظاهرة، ويلم بأعضائها من قوام، وخضر، وردف، وثدي، وأنف، ونحو ذلك كما يلّم بزيتها، وطبيها، وحليها، فهو غزل حسن يتصل بالغريزة، وقلما يعبر عن معنى روحي عميق يدل على العشق العذري وعفته، وفناء المحبين فيه، وتضحيتهم من أجل من يحبون. ويتسم غزل الجاهليين على وجه العموم بالدقة، والسلاسة، والعدوبة".⁽³⁵⁾

ومن الشعراء الغزليين من عرف بامرأة خاصة، قرن اسمه بها، فكانت بشينة لجميل، وعزة لكثير، وربما نسب إليها فليل كثير عزة، وليلي لقيس بن معاذ، ولبني لقيس بن ذريح، وعفراء لعروة بن حزام، واشتهرت في هذا العصر قصائد في الغزل تعتبر من عيون الشعر العربي.

الغزل في القرن التاسع عشر الميلادي في نيجيريا:

"لم يكن فن الغزل في القرن التاسع عشر الميلادي فنا مطروقا لدى العلماء والأدباء في نيجيريا إلا في نطاق محدود جداً، ولم يكن القليل الذي نظم إلا محاكاة لهذا الفن"⁽³⁶⁾ "والسبب في قلته أن العلماء تفادوه خشية الاشتهار به، والادلاء في دلوه، وعلى الرغم من ذلك، فقد وجدنا الشيخ محمد بخاري"⁽³⁷⁾ قد خاض في الغمار، فتجراً في القول فيه، ليعتب من يعتب، ويعذر من يعذر، نراه

في ميميته يتغزل بمعشوقاته، ويتعدد في صفاتها كدأب الغزليين، فهي - كما يراها- طيف يزوره، بل، غانية، بارعة في الجمال، فريدة في الحسن، قرّة الناظرين، درة، وهي كالظبية، تسبي من تشاء من خلق الله، برة، لطيفة الكشحين، حوراء،
قائلا:

هاج لعيني دمع مع دما	طيف أتى من رشيا أدما
غر خذول ترتعي مفردا	مقلدا في شفثيه اللما
يا أيها الطيف الذي زارني	لو كنت حقا لشفثيت الظما
لطيفة الكشحين ممكورة	ترمي الورى عن لحظها أسهما
أقصر، فما أنصفت حقا	وما نلت من الرشد نصيبا وما
ما نظرت عيني إلى مثلها	حسنا، وإحسانا ورب السما
قامت تريني يوم ودعتها	كشحا لطيفا طيه أهضما
ومقلة حوراء مذعورة	وجيدها خشية أن أصرما ⁽³⁸⁾

وإذا ألقينا نظرة أخرى إلى نونيته، من هذا النوع من الشعر، فنراه يلتاع حبا لأم الفضل ببحرائها إياه، فغدا متحيرا تائها كالسكران، واشتد في أحشائه نار الغرام من بعدها إياه، استمع إليه وهو يقول:

فجعتك أم الفضل بالهجران	فبقيت بين الناس كالسكران
وكأن في قلبي وجوفي جمرة	مذ بعدتني من جناها الداني
قامت تراءى في القصور بفاحم	رجل ومقلة شادن ظمان
وبجيد مغزلة، وساق خدلة	وترائب كالدر والمرجان ⁽³⁹⁾

وفي أبيات أخرى من هذا القبيل، يتغزل بآمنة، ويبيدي لها كوامن صدره،
من هيام، وشوق فقال:

أ خيال أمنة التي	من دونها جوب القفار؟
قد هيجت أحزانا لقلبي	المستهام المستطار

وسلبت عن نفسي الغرا ر ومطت ما بي من وقار
وتصارم الأجفان منذ نأت ديارك عن ديار
ما نلتقي إلا على دمع على الخدين جار
حييت يا أخت الزبر جد والزيارج والدرار
ووقيت من حوب يشينك من الملمات الكبار
وحياة حيي فيك ما للقلب دونك من قرار⁽⁴⁰⁾

لقد أوتي البخاري ملكة شعرية، وحساً مرهفاً، وذوقاً سليماً، وخيالاً
خصباً، وكان حر التفكير، فياضاً في نظمه، فاستطاع بذلك أن يصور عاطفته
الوجدانية في أشعاره بألفاظ سهلة، وتعبير رقيق، ومعان بارزة سواء في الغزل أم
غيره. وصفوة القول، إنه يستمد معانيه من غزليات الشعراء السابقين، وينتقي من
صفات صاحباته بوجه أخص من أشعار العرب المشهورين بالفن. فحري بنا أن
نتساءل في هذا المنطلق، ما هي الدواعي التي أثرت في نفس البخاري، على أن
يتخذ النسب والتشبيب ديدنه وهو ممن يشار إليه بالبنان في مضمير الفضل؟
والبيئة تمج من هذا الصنيع!

وقد أجاب على ذلك الأستاذ الدكتور غربا طن ظوهو⁽⁴¹⁾ بثلاث نقاط:

1- لما تأمل محمد البخاري أشعار العصر الجاهلي وحدها، تفتتح بالنسب،
وذكر المحبوبة، فتأثر بها كونه أديبا متأسيا بالأدب العربي، فحاكى الشعراء في هذا
المنطلق، وبالتالي، جاءت قصائده على هذا النمط.

2- أو أنه لما تأمل الغزل، فوجد فيه أن العاطفة الغزلية، والميل إلى الجنس اللطيف
منوط بسكولوجية الإنسان، فاستدرك أن للمرأة أهمية كبرى في المجتمع يحسن
الاكتراث بها. ثم نظر إلى جانبه، فوجد أن علماء عصره، يتقززون عن ذكر النساء
في أشعارهم، فأراد أن يلفت أنظارهم إلى أهميتها، فنظم جل قصائده مفتتحا
بالغزل.

3- أو أنه سلك هذا المسلك ليجتذب العقول والأذهان لتصغي إليه، وليتمتع السامع بهذا الذكر الجميل الفاتن، من صفات الحسان، فأتى بألفاظ عذاب ساذجة في حد ذاتها تعبر عن مفهومه، وتترك صورة فتاة فاتنة، أو علما بأن الغزل تعبير عن تصوير أحاسيس الحب، وتجسيد صورة للمحبوبة التي تبقى أمام السامع قائمة. (42)

وعلى أي حال، فإننا لم نجد شاعرا من القرن التاسع عشر في نيجيريا ينظم أشعاره بالعربية، ويفرد موضوعا يتحدث عن الغزل، ويفيض فيه مثل محمد البخاري. وقد صار الغزل سمة بين شعراء عصره، حيث يصور عاطفته الوجدانية صراحة، ولعل السر في ذلك أنه لاحظ انصراف العلماء عن الغزل فأراد أن يلفت أنظارهم نحو دور تقوم به النساء في كل مجتمع.

أيا كان من الأمر، فنفس الرجال دائما تتعلق بحب الجمال، فاعتبروا أن المرأة هي الخصوبة الوحيدة التي تستطيع أن تنجب وتقعن شهواتهم. فبعض الشعراء اتخذوا فن الغزل آلهة تعبد، وبأبا يستميت الناس فيه كالعذريين. والمصادر التي بين أيدينا تبرهن أن محمد البخاري هو الشاعر الفريد الذي أدلى بدلوه في المضمار، وقد يكون لغيره بعض القصائد أو المقطوعات أو الأبيات، ولكن العالم الذي اشتهر بالفن، أو شهر الفن به هو محمد البخاري.

الإنتاج الأدبي في القرن العشرين في نيجيريا:

"في بداية القرن العشرين شهدت البلاد عاملين كان لهما تأثير كبير في الإنتاج الأدبي أحدهما: تدفق الكتب العربية المطبوعة داخل البلاد من مصر. فهذه الكتب لم تغذهم روحيا بالعلوم التي فيها فحسب، ولكنها أراحتهم أيضا من عناء الكتابة المضنية باليد، إذ كان نقل الكتاب الواحد المتوسط الحجم يستغرقهم عدة أسابيع. وقد أدى ذلك إلى اكتفاء الكثيرين منهم بقراءة هذه الكتب المتدفقة دون أن يهتموا بالتأليف نفسه" (43)

أما الثاني فهو الاستعمار البريطاني الذي سطا على شمال نيجيريا مركز

الثقافة العربية، واستولى عليها. ومع أن المستعمر البغيض الدخيل لم يظهر عداؤه للثقافة العربية بادية ذى بدء لإدراكه مدى خطورتها وتمكنها من نفوس الشعب، فإنه لم يشجعها لأنها تختلف عن ثقافته التي يريد نشرها، فلاغربة أن يثبط هذا العمل أيضا هم العلماء، ويضعف عزائمهم في الإنتاج.

"ومهما يكن من أمر، فقد بذل عدد لا يستهان به من العلماء جهودا لا بأس بها، وألفوا بعض مؤلفات، وإن كانت في الغالب أصغر حجما من مؤلفات القرن التاسع عشر".⁽⁴⁴⁾

اتجاهات الشعر العربي النيجيري الحديث:

لقد اتجه الشعر العربي النيجيري في هذا القرن إلى اتجاهات أخرى، وقد شرب شعراء هذا العصر من مياء الثقافة المعاصرة من وجوه شتى، أهمها : اتصال نيجيريا بالدول الخارجية خصوصا البلدان العربية، ومن الاكتشافات الجديدة الحديثة، المرئية منها والمسموعة، بالإضافة إلى الدواوين الحديثة التي أنتجتها قرائح العرب، ووصلت إلى نيجيريا إثر صدورهما، وأهمها: الشعر السياسي، والاجتماعي، والحماسي، والهجاء، والغزل. فالغزل المعني هنا على شاكلة قول الشاعر النيجيري المعاصر⁽⁴⁵⁾ في ألم الحب:

علمني حبك أن أصبرا	والصبر أمن لفتى أجرا
دنياك بحر غائر عمقه	ولست أدري كنه ما أضمر
لقد تعاميت وما بي عمى	ثم تخارست لكي أظفرا
حباك كنز كل من ناله	عاد إليه كل ما أدبرا
وبسمة منك تزيل الأسى	مثل وميض في الدجى قد سرى
وغيم حزن في محياك ما	يجعل أملاك السما حيرا
رضاك ما أسعى له متعبا	رضابك الحلو كفى سكر ⁽⁴⁶⁾

فقد ذاع باب الغزل عند شعراء نيجيريا اليوم، ولا سيما لدى الشباب

منهم، فقلما يخلو هذا الغرض من دواوينهم، يقصد به الشاعر محبوبته، على طراز شعراء العرب القدامى، ولكنه من نسيج العذري الذي نشأ بين الشباب في بادية الحجاز في بني عذرة وخزاعة غالباً. وكان غزلهم غزلاً شريفاً نزيهاً عن الفحش وعن الكذب على الحسان بما لا يليق بشرف الفتاة البدوية المسلمة، لكن أكثر حبهم كان حقيقياً غير مصطنع.⁽⁴⁷⁾

وقد قيل في هذا الغرض قصائد مطولة بل دواوين من الشعر لم يؤثر لها شبيهه لا عن الجاهلية ولا عن صدر الإسلام. وأشهر هؤلاء الغزليين جميل بن معمر، و بئينة وأمثالهما فالغزل العذري غزل نقي طاهر معلن في النقاء والطهارة وإلى نوعية هذا الحب العذري يشير إليه محمد البوصيري في بردته في مدح الرسول قائلًا:

يا لائمي في الهوى العذري معذرة مني إليك ولو أنصفت لم تلم⁽⁴⁸⁾

ومن شعراء الغزل العفيف جميل بن معمر، وقيس بن ذريح، وعروة بن حزام، والصمة القشيري وأمثالهم. ومن أجود ما قيل في هذا الباب قول جميل بن معمر مع معشوقته ببئينة:⁽⁴⁹⁾

لها في سواد القلب بالحب ميعة هي الموت أو كادت على الموت تشرف
وما ذكرتك النفس يا بثن مرة من الدهر إلا كادت النفس تتلف
وإلا اعترتني زفرة واستكانة وجاد لها سجل من الدمع يذرف
وما استطرفت نفسي حديثاً لخللة أسر به لا حديثك أطرف⁽⁵⁰⁾

عشق الشاعر مخطوبته عشقاً لا حياء فيه، وقد بلغ به الهيام منتهاه، فلا ينفك يعشقها إلى أن تدركه المنية، فإن ذكراها عنده أثيل ومتمكن في قلبه، وغياها عنه يفضي إلى البكاء، وأنه لا يتلذذ بحديث سواها. وهكذا استمر جميل يصف هيامه ببئينة وصفاً دقيقاً لا يعاباً لو قضى حياته من أجلها.

ثم نرى الشاعر في هذه الصورة أنه لم يقف أمام محبوبته يتملى جمالها، ويصف محاسنها أو يبرز مفاتها الجسدية، ولكنه انطلق يشكو ويكي ما أصابه الحب والهوى العذري، وما ينويه لو انقطع الاتصال بينه وبينها. وممن صنع صنيعه في هذا الغزل العفيف، قيس بن ذريح، ومن أروع ما قاله هذا الشاعر في عشق لبنى قوله:

أقضي نهاري بالحديث وبالمنى ويجمعي والهم بالليل جامع
نهاري نهار الناس حتى إذا بدا لي الليل هزتي إليك المضاجع
لقد رسخت في القلب منك مودة كما رسخت في الراحتين الأصابع
ولاتبكين في إثر لبنى ندامة وقد نزعتهما من يديك النوازع⁽⁵¹⁾

الغزل بين القرن العشرين والحادي والعشرين في نيجيريا:

وقد تغيرت الحال بعض الشيء في باب الغزل في هاتين الفترتين - 1900-2012م - حيث بدأ الغزل في صورته الحقيقية المعروفة في ميدان الأدب، وبدأ الشعراء يتغزلون، استجابة لوجدانهم الشعري، وحباً لتسجيل تجاربهم الذاتية، من واقع الأمر حيناً، ومن سبيل التخيل أحياناً أخرى. وقد قال أحدهم في هذا الوادي شاكيا هيامه من فتاة قاطع فتاه:

قاطعتني فكان صعبا عليا بأبي من يرد روعي إليها
شاعر الحب والحياة ضناه إن تخفى يكون سرا جليها
سنة الحب منعة وصدود واتخاذ الحب لحما طريا
حبها ليس للقاء ولكن كان حبا مطهرا عذريا
لا أبالي إذا تناست حديثي فحديث العليل ليس قويا
لحظها نافذ ينبض قلبي في الحشا كان وقعه سهميا
فأسألوها بأن تخفف عني عشت في فخها غلاما سيبيا⁽⁵²⁾

ونراه أيضا يجهر حبه نحو معشوقته، يطيق على نفسه الأحمال بغية ضالته
المنشودة منها، إذ قال:

لا الليل يثيني ولا الرقباء	عن زور من أهوى ولا الأعداء
أجشم الأخطار في أنائه	يرضي الحبيبة كلفة وعناء
من لي بإعلام الحبيبة أنها	داء يسقم مهجتي و د واء
ماذا يغيب وجهها عن ناظري	ويعيد أفراح القلوب لقاء؟
قولوا لها بعض التستر والقلبي	في الكبرياء تمرد وجفاء
لا ترفضوا شعر النسيب فإنه	سلوى القلوب يناله الشعراء
الحب يخمر عقلنا وصوابنا	في أخذ ألباب الورى صهباء ⁽⁵³⁾

لقد نظم صاحب هذا المقال أيضاً قصيدة رائية في معشوقته عام 2002م
بعنوان: "دائك دائي" إذ يقول فيها:

نارالهيام تنيف العاشقان إذا	حل الفراق لظى يا دهر فاصطبر
ما كنت أعرف للتنفيس من عسل	لما تجسدت الأتراح في بقري ⁽⁵⁴⁾
إني لأمسك وجدا عن محادثة	شهرًا، أفكر في لقياك بالنظر
حيناً أفرط في تعنيف الدهر ألا	طوراً، ألين في التأنيب للظفر
ولم أر في السبات غير طيفك قد	أضنيت، كفكف عني الحظ عن بطري
إذا الدنا إنني في السهر نامت ما	أنكى الجروح لعمرى شاردا الفكر
ما كنت أخيل أن الدهر يبعديني	يوماً بصاحبتني إذ جاء بالنكر
ولست أبصر في الأوراق صاحبتني	إلا خيالك نار الشوق في نظري
وأنت تدرين ما التدليس من شيمي	ولا المراوغة في القول بالسمر
إني لأوفى من الأرضين قاطبة	أنا العصامي، أمح العدم بالمطر
والجد فروتي والعذري شنشنتي	يطوي المفاوز في تحقيقه بجري

ولست أنقض عهدا قد ضربت ولا أظلي الحقائق بالترهات والزور
 وإن دائك دائي ياخطيبي ما في القلب غيرك، لايدري من الغرر
 إن الركون إلى أرض بلا سفر ذريعة لطيف العيش والعبر
 وقد عرفت وكل الناس يعرفني أني لرائد في الأهوال بالجرر
 أنت قريرة عيني بل فريدتها قلادتي أينما وليت تنتصر
 إني لأرجع عن قرب بمكرمة فالعود أحمد⁽⁵⁵⁾ أما البعد كالقمر⁽⁵⁶⁾

لم يستطع الشاعر كتمان وجدانه الجنسي في هذه المقطوعة تجاه معشوقته، وإنما أبداها علنا ليعتبه من يعتب، ويعذره من يعذر على حد تعبيره. وإن دلت هذه الأبيات على شيء، فإنما تدل على أن الغزل قد سلك مسلكاً جديداً لم يعرفه شعراء نيجيريا خصوصاً في القرن التاسع عشر الميلادي وما قبله بقرون. فالشاعر شاب ظريف أهدته عبقريته إلى الادلاء في الدلو، ولكن التعاليم الإسلامية التي دبّ وشبّ عليها، قادتته إلى الاحتفاظ بالقيم الإسلامية وآدابها.

فالقطة تمثل جانباً من القصائد التي قيلت في هذا الغرض، وتصور كذلك مدى هيام الشاعر بمحبوبته. وتجدد الإشارة إلى أن المنظومة تخلو من الفحش والمجون، بناها الشاعر ليبيدي بما حبه العذري لحبيته، وذكر الألم الذي يقاسيه لينال رضاها، فتنقاد لأمره. أما الذين يتغزلون بدافع التقليد والمحاكاة فهم أكثر عدداً، قد تداوله بعض الشعراء السنيين في دواوينهم رغبة في الفن ذاته، وإبراز قدراتهم الشعرية، ليس في المديح والثناء فحسب، وإنما في أغراض الشعر كلها، ولكن بعضهم يبنون قصائدهم من هذا الطراز على طريقة الخيال، وليس من واقع الأمر، فليس أحط بمنزلة عالم سني في المجتمع الإسلامي النيجيري من التغزل بالعقائل.

وهم في هذا الغرض، ليسوا على مستوى واحد في الجودة والمحاكاة، منهم من إذا تغزل، أجاد في تقليده إجادة فائقة، ومنهم من إذا تشبب ظهر التكلف

والتصنع. وفي هذه القصيدة مثلاً، تغزل الشاعر بفتاة مجهولة الاسم، رآها الشاعر واخلبته، فاندفع يتغنى بها، إرضاء لهويته ونهمه، وفي ذلك يقول الدكتور عيسى ألبى أبوبكر:

رأيتها فاخترتني الرشاد	حسناً تتعب بالسهاد
لها جمال يفوق وصفا	تختال كالغصن في امتياد
نظرت منها وجها كبدر	فقام مني غي الفؤاد
يفوح منها عطر الشباب	تسبو بسحر مخ العباد
مليحة قدها رشيق	لحسنها ينبض الجساد
ولحظها خادع مخاتل	لمثلها فليكن مراد
تصطاد لكن بغير فخ	والفخ وان في الاصطياد
مشيت طول البلاد لكن	لكفؤها يصعب ارتياد ⁽⁵⁷⁾

والحقيقة أن الشاعر لم يقصد بداليتها امرأة بعينها كان يسترضيها، وإنما مجرد رؤية الحسان من النساء وإلى طبيعتهن تلد أفكارا تتكون منها عيون الشعر لدى أصحابه. وهذا اللون من الغزل، يخضع دائماً للقيم الخلقية، والتعاليم الإسلامية. إضافة إلى ذلك، فإن المجتمع الإسلامي النيجيري، لا يقبل من الشعراء إنتاجاً، بذية اللسان، فحش المغزى، ردىء الأدب.

الخاتمة:

والحق أن الغزل العفيف يراه علماء نيجيريا غرضاً لا بأس بترويجه إذا لم يهد إلى الضلال والغواية، ولم يعضد الفساد والفحش والمجون من قوله، لذلك، تناوله بعضهم بالقلة أو بالكثرة في دواوينهم.

وإنتاجات شعراء نيجيريا بما فيه الغزل يختلف اتجاهاته ومناحيه بالمقارنة إلى ما قد قيل عنه في القرن التاسع عشر الميلادي وما بعده. منهم من كان

التقليد والمحاكاة بشعراء الفن هو الهدف الأسمى من ورائه، ومنهم من كان يرمي إلى فتاة بعينها.

الهوامش والمراجع

1. الخطابي، محمد العربي، "الأدب الإسلامي: مفهومه وآفاقه"، مجلة الفيصل الثقافية، الرياض: العدد (223)، يونيو، 1995م، ص45.
2. محجوب، عبد الرحمن، " "، دقل، مجلة كلية الآداب والدراسات "الأدب والمجتمع الإسلامية، جامعة صوكوتو، نيجيريا، المجلد (1)، العدد (1)، 1981-1982م، ص60.
3. الخطابي، محمد العربي، "الأدب والمجتمع"، مقال سابق، ص45-46.
4. محجوب، عبد الرحمن، مقال سابق، ص45-46.
5. محجوب، عبد الرحمن، "الأدب والمجتمع، مقال سابق، ص160.
6. المسلوت، عبد الحميد محمود، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، (بنغازي: الجامعة الليبية، (1971م)، ص5.
7. الصالحي، عزمي محمد شفيق، وآخرون، الثقافة الأدبية، ط3، (بغداد: مطبعة وزارة التربية، 1984م)، ص11.
8. الصالحي، عزمي محمد شفيق وآخرون، الثقافة الأدبية، ص11.
9. المقصود بالفن هنا التعبير عن الحياة بصيغة تدل على الإبداع، والتأثير في الذات الإنسانية، بوسائل مختلفة كالرسم، والنحت، والموسيقى، والتمثيل، وما إلى ذلك.
10. الإلوري، آدم عبد الله، لباب الأدب، (قسم الشعر)، ط 1، (أغيغي: مطبعة الثقافة الإسلامية، نيجيريا، 1980م)، ص52.
11. عبد الرحيم عيسى الأول، عبد الرحيم عيسى، الكشاف في الأدب العربي للمدارس الثانوية بغرب أفريقيا، (لاغوس : مطبعة فاتا فرم، 1999م)، ص175.
12. الإلوري، آدم عبد الله، لباب الأدب، ط 1، ص52.
13. الصالحي، الثقافة الأدبية، ط 3، ص18.
14. الصالحي، الثقافة الأدبية، ط 3، ص418.
15. أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا من 1750-1960م، ط 1، (بيروت: مؤسسة عبد الحفيظ - البساط، 1972م)، ص147-148.

16. أيبكن، موسى عبد السلام مصطفى، "مشكلات اللغة العربية في نيجيريا، الرياض : دار الفيصل الثقافية، المجلد (4)، العددان (3-4)، 1429هـ، ص36.
17. أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، ط 1، ص297.
18. آدم عبد الله الإلوري، آدم عبد الله، مصباح الدراسات الإسلامية في الديار النيجيرية، ط 1، (أغنيغبي: مركز التعليم العربي، نيجيريا، 1967م)، ص20.
19. الإلوري، آدم عبد الله، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ط 1، ص20.
20. s SARD AL –- A.I. Lawal A Critical Edition of Muhammad Bell A bd .KALAM FIMA JARA BAYNANA WA BAYNA Submitted to University of s Disartation, A Master.SALAM p8, 1984, Dep. of Arabic and Islamic Studies.Ibadan
21. أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، ط 1، ص323.
22. أبوبكر، علي، الثقافة الأدبية في نيجيريا، ط 1، ص318.
23. الإلوري، آدم عبد الله، مصباح الدراسات الأدبية في الديار النيجيرية، ط 1، ص29-30.
24. شيخو أحمد سعيد غلادنتي، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا (الرياض: شركة العيكبان، 1993م)، ص341.
25. أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، ط 1، ص264.
26. غلادنتي، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط 1، ص71.
27. أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، ط 1،
28. المسلوت، عبد الحميد محمود، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، ط 7، ص284.
29. المسلوت، عبد الحميد محمود، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، ط 7، ص284.
30. المسلوت، عبد الحميد محمود، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، ط 1، ص284.
31. المحاضر ورئيس القسم العربي الأسبق بجامعة إلورن، نيجيريا، وهو من الشعراء المعاصرين البارزين - حفظه الله ورعاه.
32. أبوبكر، عيسى ألي، السباعيات، (القاهرة: النهار للطبع والنشر والتوزيع، 2008م)، ص92.
33. الفاخوري، حنا، الجديد في الأدب العربي، ط 6، (بيروت: المكتبة المدرسية ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1967م)، ص42.
34. المسلوت، عبد الحميد محمود، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، ط 7، ص287.
35. المسلوت، عبد الحميد محمود، الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، ط 7، ص287.

36. غلادنثي، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ط 2، ص 165.
37. هو محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فوديو، ولد في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، عام 1794م، وتوفي عام 1849م.
38. طن ظوهو، غرب زاريا، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فوديو، ط 1، (الناشر: شركة غسكيا، زاريا- نيجيريا، 2002م)، ص 111-112.
39. طن ظوهو، غرب زاريا، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فوديو، ط 1، ص 106.
40. طن ظوهو، غرب زاريا، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فوديو، ط 1، ص 265.
41. وهو مدرس الأدب ورئيس قسم اللغة العربية بجامعة أحمد بلو -زاريا حاليا.
42. طن ظوهو، غرب زاريا، محمد البخاري بن الشيخ عثمان بن فوديو، ط 1، ص 114.
43. أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، ط 1، ص 298.
44. أبوبكر، علي، الثقافة العربية في نيجيريا، ط 1، ص 298.
45. وله دواوين لاتقل عن ثلاثة ما عدا المخطوطات من أشعاره.
46. أبوبكر، عيسى ألي، السباعيات، ط 1، ص 104.
47. أحمد الإسكندري، أحمد وآخرون، المفصل في تاريخ الأدب العربي، (كنو : سامبس، نيجيريا، سنة النشر غير مذكورة)، ج 2، ص 130.
48. شرف الدين محمد البوصيري، محمد شرف الدين، بردة المديح (الناشر :الحاج عبد الله اليسار، سنة النشر غير مذكورة)،، ص 1.
49. العاشق والمعشوقة كلاهما من بني عذرة.
50. شوقي، ضيف، العصر الإسلامي، ط 7، (القاهرة: دار المعارف، 1963م)، ص 368.
51. بن ذريح، قيس، ديوان، ط 3، (بيروت: دار المعارف، 2008م)، ص 90.
52. أبوبكر، عيسى ألي، السباعيات، ط 1، ص 111.
53. أبوبكر، عيسى ألي، السباعيات، ط 1، ص 151.
54. بطني.
55. يجوز أن يكون " أحمد " أفعل من الحامد يعني أنه إذا ابتدأ العرف حلب الحمد إلى نفسه، فإذا عاد كان أحمد له أي أكسب للحمد له، ويجوز أن يكون أفعل من المفعول، يعني أن الإبتداء محمود، والعود أحق بأن يحمد له. ويقال أول من قال ذلك، وأخذ الناس منه مالك بن نويرة حين قال :
- جزينا بني شيبان أمس بقرضهم
وعدنا بمثل البدء والعود أحمد
- فقال الناس: أعود أحمد. وفي المنجد في اللغة والأعلام

- وأحسن عمرو في الذي كان بيننا وإن عاد بالإحسان فالعود أحمد
56. أيبكن، موسى عبد السلام مصطفى، حديقة الأزهار، مخطوط، مكتبة الباحث الخاصة،
ورقة 43 (وجه)
57. أبوبكر، عيسى ألي، الرياض، ط 1، (إلورن : مطبعة ألي، 2005م)، ص182.

* _ * _ *